حائط غاندي

مجموعة قصصية

حائط غاندي

الطبعة الأولي ٢٠١٧

قصص

تأليف :

عزة رشاد

تصميم الغلاف:

عبد الرحمن الصواف

مراجعة لغوية:

محمد حمدي

رقم الإيداع : 2016/25582

الترقيم الدولي: 978-977-820-009-6

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع

٢٢ ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم

هاتف أرضي: 0235688678- 0235611772

هاتف محمول: 01001872290-01000405450-01005248794

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com

الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعيةٍ أو بصريةٍ دون إذن كتابيٍ من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلةٍ القانونية.

حائط غاندي

عزة رشاد

مجموعة قصصية

رسائل بظهر الغيب

منح الأديب «يحيى حقي» بطله لمصلحة البريد التي حمَّلته الأمانة في حقيبة صغيرة، يُعلِّقها على كتفه ويجوب بركوبته القرى والكفور، يوزع أظرفًا مغلقة، لكن بمجرد تسليمها للمرسل إليه، يدرك «البوسطجي» من ملامحه وأفعاله ما كان يحمله له: هناك جوابات تُفرح الناس، وأخرى تفعل العكس، يتنهد البوسطجي وربما يتفكه بما على الأظرف المتبقية من أغلاط الإملاء والعناوين متمتمًا: الحقيبة أكبر من حجمها، الحقيبة مستودع أسرار...

داخل المحل ذي الفترينات الزجاجية الوثيرة توقفت يد الشابة العشرينية عند حقيبة نسائية بيضاء، تحب اللون الأبيض كما يريحها أنه لا يستلزم ثيابًا شديدة التحديد، راعت حجم وعدد الجيوب والثنيات، إضافة إلى شرطها الخاص: جيب سري لا يمكن لأحدهم اكتشافه، صغير يكفي لشريط الحبوب، أما الواقي الذَكري فلم تعد تبتاعه، اشترطت أن يكون على «الزبون». تدفع الثمن وتستلم حقيبتها وتخرج، تجفل من صوت فرامل سيارة مفاجئة عند عبورها الشارع فتغمض عينيها..

يفتح غاندي «مخلاته» ويطيَّر حمامة، ظلت شريدة سنوات قبل أن تجد من يستقبل رسالتها، صار هو خلال هذه الفترة مريضًا بالفشل الكُلوي والهزال، لإضرابه عن الطعام بعدما فشل العصيان المدني أن يؤتي ثماره.

مخلاة غاندي لا تختلف كثيرًا عن «بقجة الدمّور» تحملها المرأة الأربعينية بيد وبالأخرى تمسك بيد ابنتها أم ضفيرتين طويلتين، وتقطعان طريقًا رفيعًا بين الغيطان في غبشة الفجر، تنبههما لسعات الهاموش والعث، تتنشقان الندى ممزوجًا برائحة الروث في المشوار المرهق، وإفطار «العيش المُلدن والجبن القريش» يُهضم في أثناء الطريق الذي ينتهي بافتراقهما عند باب المدرسة؛ وعندما تخرج البنت من هذا الباب ظهرًا ستجد بقجة الدمور على الباب في انتظارها، ويد أمها ممدودة ككل يوم: منديل يا حاجة، منديل يا حاج.

حقيبة جوته الممتلئة بخطابات الغرام لا تناسب زماننا، بل هي متهمة بالغش، ليس غش جوته في روايات خيالية تعتصر دموع العشاق، بل غش النفس لأنه لم يعد هناك من يستحق. هذا ما أخذ يفكر به الشاب أبو نظارات طبية سميكة مرددًا:

- ده زمن نيرون. لكن أبدًا ليس زمن جوته.

اعتصر نفسه لسنوات في الكتابة ثم أعادت له حبيبته أشعاره وخطابات غرامه مذيلة بنقطة النهاية، يخرج صورهما المشتركة من حقيبته الصغيرة ويمزقها ويرميها تحت قدميه، فيصرخ الشيخ الجالس على المقعد المقابل له بالمنتزه:

- حرام تكسر الورد.

ينظر الشاب للصوت فيرى الشيخ يسد أذنيه بيديه متألمًا:

-أما تسمع صرخاته!

يحدق الشاب إلى مزق الأوراق بيده ويمصمص شفتيه متعجبًا:

-الكِبر عِبر صحيح.

مع شقشقة كل صباح ينهض الشيخ من فراشه ويعبئ الحقيبة بالسندوتشات والحلوى التي يحبها حفيده، وعندما رفع صوته وقال إنه خدع الله مِرارًا بنوايا توبة زائفة، ابتسم الحفيد فظهرت غمَّازة الحُسن على خده وقال:

-عفريت يا جدو. عفريت.

أما البنت أم ضفيرتين طويلتين التي تتلقف السندوتشات من الولد أبي شامة حُسن، وتركض بين صفوف مقاعد المنتزه لتعطي نصفها لأمها السارحة بمناديل بقجة الدمور، فلم تعبأ بالجد «الشيخ» ولا بكلماته.

تدلت الحقيبة البيضاء من على المقعد المجاور، عندما سمعت الشيخ يؤكد أن الله كان يصدق توبته كل مرة وينقذه من مصائب جمة، جذبتها الشابة في اللحظة الأخيرة قبل أن تهوي، وسَرحتْ متذكرة دعاء أمها كل يوم وهي تراها تملأ حقيبتها بالأوراق والماكياج والأمشاط:

-عقبال ما تمليها حفاضات وكوافيل.

أحقا؟ أتعني هذا حقا؟

تدعو بإخلاص؟ تظنني سأتزوج مثل أي واحدة؟

مررت أناملها فوق موضع الجيب السري وتمتمت بدعاء وهي تتابع ركض الأطفال، حك الشيخ بين فخذيه وبدا متأملًا، ثم قلب الحقيبة فجأة فهوت بقايا السندوتشات على الأرض، فهمس كأنه لا يريد أن يسمعه أحد: دي كلها ذنوب.

اقترب الولد يلملم بقايا وجبته المُغبرة ويجري، بينما الشيخ يشنهف بدموعه كلمات عن ندمه لأنه لم يكف عن خداع الله. وراح يهز الحقيبة ليتخلص مما تبقى فيها، ويدعو الله أن يتوقف عن دعمه حتى لا تثقل كفته الداكنة، توقف الشاب أبو نظارات عن تمزيق رسائله ضاربًا كفًا بكف، ثم نهض واقترب من الشيخ يربت كتفيه بحنان، فالتقت عيناه في تلك اللحظة بعيني الشابة الممسكة بحقيبتها البيضاء، ابتسم لها، فيما كانت تتمنى في نفس اللحظة ألا يأتي الزبون وأن يستجيب الله لدعاء أمها. وكانت سيدة المناديل الورقية ما زالت تدور، فيما توقف بوسطجي يحيى حقي في مكان وزمان بعيد وفتح الرسائل لتسرية الوقت، لكنه عجز عن إغلاقها فاشتبكت الحكايات وتداخلت المصائر.

أغلق المنتزه الآن لأن هناك من تسلل ووضع بين صفوف المقاعد الخشبية حقيبة «نيرون». كان بداخلها قنبلة منزلية الصنع حسب خبراء المتفجرات. وجدوا بجوار الأشلاء بقايا

بقجـة دمـور، وعدسـات طبيـة سـميكة، وشريـط مـن حبـوب منـع الحمــل، وورد دهســته الأقـدام.

عراء

ببيجامتـك الخفيفـة تقفـين بينهـما، طولـكِ لا يزيـد كثـيرًا عـلى ارتفـاع الكـرسي الـذي يجلـس عليـه كلٌ منهـما مرتديًـا الـروب الصـوفي الثقيـل الـذي ينسـدل حتـى يصـل إلى الأرض مغطيًـا القدمـين. واقفـة أنـتِ بـين الكرسـيين المتقابلـين تسـتقبلين تراشـق الكلـمات منهـا إليـه ومنـه إليهـا:

- انزلي قولي للبواب يجيب المأذون.

- لأ ماتنزليش.

تميلـين للـرأي الأول وتتفتـق بداخلـك بـذرة حـسٍ ميلودرامـي، عـن صبيـة معذبـة وضائعـة بـين رجـل وامـرأة شـاءت الظـروف أن يكونـا أمـكِ وأبيـكِ، لكـن قدميـك متجمدتـان عـلى البـلاط، ولا يلاحـظ أي منهـما أنـكِ حافيـة أو أنـكِ بحاجـة إلى عنـاق.

قبعة وبدائل أخرى

قالت لكِ نفسك: بيدك أفضل من أن يكون بيد «عمرو»، تفكرين في الأمر، وفي «عمرو»، وعلى الفور تحضرين المقص المناسب وتأخذين شهيقًا عميقًا، عدة مرات، كي تستجمعي شجاعتك وتقومي بهذه الخطوة، ثم شهيقًا آخر كي تركزي ذكاءك وتنجحي في استخلاص شيء طريف من هذا الموقف، شيء يُهون المفاجأة على أهلك، مثلاً كمديح النجمة «ناتالي بورتمان» على أدائها المذهل في فيلم: V for Vendetta

أو كإعداد خطبة عصماء لمهاجمة الفكر الرجعي الذي ربط الأنوثة بأشياء تافهة مثل: نعومة الصوت، ونحولة الخصر، والشعر الطويل الذي أتحفنا «عبد الحليم حافظ» بمغازلته:

في موجة عبير بالشعر الحرير

ع الخدود يهفهف ويرجع يطير

قد يحلو لكِ التمحك في النسوية كفلسفة تستهدف العدالة وتطيح بالفروق الثانوية، أو حتى بالهيبية... إلخ، لكنك ستتجنبين استعراض ما يتداعى بذهنك من ذكريات، لأنها ليست مُشوقة، أو للصدق، ليست مُشرِّفة، مثل أبلة نادية التي كانت تقوم في أثناء فقرات الإذاعة المدرسية في طابور الصباح بالتفتيش على نظافة الثياب وقص الأظفار، ثم تتلهى بتفلية رؤوس البنات عسى أن تفوز بقملة سارحة هنا أو هناك، وتفشل كل محاولات